

صورة المراكز العمرانية بمنطقة تادلا في مرآة المصادر العربية خلال العصر الوسيط

أ.د. نور الدين امعيط

أستاذ التعليم العالي مؤهل

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة شعيب الدكالي – المملكة المغربية



مُلخَص

تعدّ مسألة التعريف بمواقع المراكز العمرانية بمنطقة تادلا خلال العصر الوسيط، من أهم القضايا التاريخية الشائكة التي لا تزال في حاجة إلى المزيد من تظافر جهود البحث التاريخي والأثري، خاصة وأن المنطقة شهدت حركة عمرانية مهمة، تمثلت في منشآت عمرانية حضرية وأخرى قروية، فضلاً عن الحصون والقلاع، والأسوار والمساجد، وما رافق ذلك من أنشطة اقتصادية وحركات عسكرية، مرت بالمنطقة واحتفظت المصادر العربية ببعض الإشارات المفيدة بشأنها. تسعى هذه الدراسة إلى رصد حجم المساحة التي استأثر بها حضور المراكز العمرانية التبادلية ضمن الاستوغرافيا العربية الوسيطة، لذلك تتبعنا مختلف التعبيرات والإشارات المنبثقة في منطوق النصوص والشهادات التي تضمنتها، بقصد التعريف بهذه المراكز العمرانية التبادلية ومحاولة رصد مواقعها، في أفق رسم معالم خريطة عمرانية تقريبية لمنطقة تادلا خلال العصر الوسيط. وقد خلص المقال أن تحديد مواقع المراكز العمرانية التبادلية، اعتماداً على المصادر العربية المكتوبة، يعدّ عملاً تأصيلياً، ومدخلاً مهماً، يمهد لاستئناف الدراسات الأركيولوجية بالمنطقة، وهو ما يقتضي من الباحثين تظافر الجهود، قصد الكشف عما تزخر به منطقة تادلا من مواقع أثرية إسلامية مهمة.

كلمات مفتاحية:

المراكز العمرانية، تادلا، المصادر العربية، العصر الوسيط، كتب الأنساب

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٠٧ مارس ٢٠٢٤

تاريخ قبول النشر: ٠٩ أبريل ٢٠٢٤

معرف الوثيقة الرقمي: 10.21608/KAN.2024.360824



الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

نور الدين امعيط، "صورة المراكز العمرانية بمنطقة تادلا في مرآة المصادر العربية خلال العصر الوسيط"، دورية كان التاريخية، السنة السابعة عشرة - العدد الرابع والستون، يونيو ٢٠٢٤، ص ٧٣ - ٨٨.



Twitter: <http://twitter.com/kanhistorique>

Facebook Page: <https://www.facebook.com/historicalkan>

Facebook Group: <https://www.facebook.com/groups/kanhistorique>

Corresponding author: nour7404@gmail.com

Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com

Egyptian Knowledge Bank: <https://kan.journals.ekb.eg>

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (<https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0>), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

مُقَدِّمَةٌ

تُعَدُّ مسألة التعريف بمواقع المراكز العمرانية بمنطقة تادلا خلال العصر الوسيط، من أهم القضايا التاريخية الشائكة التي لا تزال في حاجة إلى المزيد من تضافر جهود البحث التاريخي والأثري، خاصة وأن المنطقة شهدت حركة عمرانية مهمة، تمثلت في منشآت عمرانية حضرية وأخرى قروية، فضلاً عن الحصون والقلاع، والأسوار والمساجد، وما رافق ذلك من أنشطة اقتصادية وحركات عسكرية، مرت بالمنطقة واحتفظت المصادر العربية ببعض الإشارات المفيدة بشأنها. وعلى الرغم من أهمية موقع منطقة تادلا على الطريق الرابط بين فاس ومراكش، وما توفرت عليه من موارد بشرية واقتصادية هائلة، فإن المصادر التاريخية لم تعر اهتماماً كبيراً لحواضرها ومنشآتها العمرانية العريقة، باستثناء إشارات باهتة ومتناثرة، يغلب عليها أحياناً طابع الغموض، وأحياناً أخرى الخلط والضبابية، الأمر الذي يزيد من صعوبة الموضوع، ويفسر إجماع الباحثين عن مقارنته مقارنة تاريخية وأركيولوجية^(١).

وتسعى هذه الدراسة إلى رصد حجم المساحة التي استأثر بها حضور المراكز العمرانية التادلية ضمن الاستوغرافيا العربية الوسيطة، وتتبع مختلف التعبيرات والإشارات المنبثة في منطوق النصوص والشهادات التي تضمنتها، لذلك يجدر بنا الوقوف عند مصادر بعينها، خاصة تلك التي ورد بها ما يحيل ضمناً أو صراحة على المجال التادلي ومراكزه العمرانية. وقد اعتمدنا في هذا السياق على ما تضمنته المصادر العربية الوسيطة، على اختلاف ألوانها، من إشارات عفوية، ومعطيات متناثرة، نظير كتب الأنساب والمناقب والتراجم والجغرافيا والرحلات والكتب الإخبارية، وذلك بقصد التعريف بالمراكز العمرانية التادلية ومحاولة رصد مواقعها، في أفق رسم معالم خريطة عمرانية تقريبية لمنطقة تادلا خلال العصر الوسيط.

أولاً: المصادر الإخبارية

لم تول المصادر الإخبارية اهتماماً كبيراً للمراكز العمرانية والمجال التادلي بشكل عام، ما عدا بعض الإشارات التي وردت في سياق الحديث عن الحملات

والحصون العسكرية بالمنطقة، وفي هذا الصدد ذكر ابن أبي زرع الفاسي بلاد تادلا، دون الإشارة إلى تجمعاتها البشرية المأهولة ومراكزها العمرانية، فأورد أن المنطقة كانت تحت نفوذ بني يفرن في بداية القرن الخامس الهجري، قبل أن تخضع لسلطة المرابطين الذين "خرج بهم عبد الله بن ياسين إلى غزو تادلة ففتحها وقتل من وجد بها من بني يفرن ملوكها"^(٢)، لتصير منذ سنة (٤٦٧هـ/١٠٧٥م) تحت نفوذ المرابطين، خاصة بعد تعيين يوسف بن تاشفين "ولده تميماً عاملاً على (...) بلاد تادلا وبلاد تامسنا"^(٣).

وإذا كان المرابطون قد أولوا عنايتهم لبلاد تادلا، لما لها من موقع استراتيجي في طريق القوافل التجارية بين فاس ومراكش، فإن الموحيدين بعدهم قد أحاطوا المنطقة باهتمام أكبر، وعناية فائقة، فحرصوا على إخضاعها لنفوذهم مباشرة بعد فتح مراكش، وتوالت عليها الحملات العسكرية، مع ما صاحب ذلك من تخريب للقلاع و الحصون المرابطية بالمنطقة، إذ يذكر ابن القطان أن "غزوة تادلا كانت أول غزوات الخليفة عبد المومن عام ٥٣٠هـ (...) وتشاور مع الموحيدين (...) فأشاروا بتادلا (...) فأضمر ذلك في نفسه سرا، ثم نهض مورياً بوجهته حتى أصبح بتادلا وجهاتها، فقتل وسبى وامتلات أيدي الموحيدين"^(٤).

وبالمثل، ذكر ابن عذارى المراكشي، نقلاً عن مصادر موحدية، بلاد تادلا دون أن يذكر بعضاً من مراكزها العمرانية، وذلك في سياق حديثه عن ثورة أبي الربيع سليمان والي عمه المنصور على تادلا، وما "تسبب فيه من كشف رأسه في النفاق، وخلعه للطاعة ومجاهرته بالشقاق، وارتهانه في مخاطباته لمن جاوره من القبائل على إجابته والارتباط معه على ذلك الاتفاق، فسوفوه تسويق المستهزئين ورأوا أنه من الضالين الهالكين"^(٥).

ولئن ذكرت بعض المصادر الإخبارية الموحدية أسماء لمراكز عمرانية تادلية، فإنها لم تهتم بتحديد مواقعها أو رصد بعض خصائصها الجغرافية، بل أوردتها معزولة في سياق حديثها عن الحملات العسكرية التي نفذها خلفاء الدولة الموحدية بالمنطقة، وفي هذا الصدد ساق البيدق الصنهاجي خبر ارتحال عبد المومن من مراكش صوب "موضع يقال له تاكرارت (...) فأكلها (...) وأقبل

وإذا كان كل من حصن داي وتاكزورت، من المواقع العمرانية المعروفة حالياً بكل من منطقة بني ملال الحالية وتاكزيرت، فإن حصني تادلة وتاكرارت، وغيرهما، تظل من المراكز العمرانية القديمة التي يصعب تحديد مواقعها بدقة، وإن رجح أحد الباحثين^(١٦)، دون سند تاريخي، أن موقع تاكرارت يوجد حالياً بالقرب من القراقب بمركز سيدي جابر الحالية. ومن القرى التبادلية المأهولة بالقرب من وادي وانسيفن (أم الربيع) والتي حظيت باهتمام الموحدين، ذكر البيدق الصنهاجي قرية نظير التي نكل الخليفة عبد المومن بأهلها، في إطار التمييز الموحي، وقمعه للمعارضة الصوفية بالمنطقة، فهو من "دفع جريدة أخرى لتادلا لعمر بن ميمون وعبد الله بن داوود الجراوي، ومحمد بن توافوت، وسليمان بن تيز نكا، وقتلوا منهم خمسمائة في موضع يقال له نظير"^(١٧)، أو ما يعرف حالياً بمركز أولاد عبد الله.

ثانياً: كتب الأوصاف والجغرافيا والرحلات

لقد أوردت كتب الأوصاف والجغرافيا والرحلات، أسماء عدد مهم من المراكز العمرانية ضمن المجال التادلي، منها تلك التي كانت حصونا عسكرية، ومنها المدن المعروفة بأسوارها ومساجدها، ومنها المراكز التي اشتهرت بأسواقها الأسبوعية وصناعاتها المحلية وتجارها الرائجة. وقد أمكن تصنيف هذه المراكز والتجمعات العمرانية إلى صنفين، صنف فقد تسميته الأصلية لفائدة أسماء جديدة، وصنف آخر احتفظ بنفس تسمية العصر الوسيط.

١/٢- مراكز عمرانية فقدت تسميتها الأصلية

لعل من أهم المراكز الحضرية التي ذاع صيتها بالمجال التادلي منذ فترة مبكرة من العصر الوسيط، نذكر مدينة داي التي كانت عبارة عن حصن وحاضرة ذائعة الصيت، إذ يذكر البكري أن "حصن داي، (...) في وسط غيضة كبيرة من أجناس الشعير، ولهم سوق حافلة يجتمع فيها رفاق فاس والبصرة وسجلماسة بضروب الأمتعة والمتاجر (...) ومنه إلى وادي درنة، نهر كبير يقع في نهر وانسيفن المذكور، مرحلة، ومنه إلى مغيلة مرحلة"^(١٨).

بغنائمها (...) "^(١٩)، وهي نفس الرواية التي نقلها ابن أبي زرع الفاسي بعده بقرنين تقريبا، دون إضافة^(٢٠). وبالمثل، فقد ذكر البيدق وجود مركز عمراني آخر، يبدو أنه كان مأهولا، ويزخر بالكثير من الموارد والخيرات، "يقال له واويزغت"^(٢١)، مضييفا أن به "ساق لنا فيه صنهاجة المروة، وتاشفين بموضع يقال له موران يغيال، ثم التقى الجيش بالحيش بموضع يقال له تيزي، فهزمتنا الفئة الباغية (...) ثم هبطنا بموضع يقال له تاكرارت متاع داوود بن عائشة، ثم خرج منا جمع فأكل تاكرارت (...) ثم رحلنا منها لموضع يقال له داي"^(٢٢). وإذا كان البيدق الصنهاجي، قد ذكر أسماء أربع محطات نزل بها الجيش الموحي بمنطقة تادلا، وهي "تيزي"^(٢٣)، أو الفج باللسان الأمازيغي، و"تاكرارات متاع داوود بن عائشة" ثم "داي" و"واويزغت" التي كانت تعمرها قبيلة من صنهاجة، فإن تلك المحطات جميعها، كانت من دون شك، مراكز عمرانية مأهولة، لها أهميتها الاقتصادية والعسكرية في المنطقة، ولا غرو، فإن تاكرارات أو "محلة الجيش بلسان البربر"^(٢٤)، كانت قاعدة للجيش المرابطي بالمنطقة، وقد سميت باسم مؤسسها القائد العسكري المرابطي داوود بن عائشة الذي لم يكن له "نظير في العزم والحزم والشدة"^(٢٥) بحسب وصف ابن أبي زرع الفاسي، ثم داي و واويزغت التي تعني المكان المحصن من كل الجهات^(٢٦).

ويبدو أن هذه المراكز، كانت في الأصل عبارة عن حصون عسكرية مرابطية بالجبال المحادية لمنطقة تادلا قبل أن تتحول إلى مدن وحواضر عامرة، خاصة إذا علمنا أن المرابطين اعتادوا بناء الحصون بهدف تأمين طرق التجارة القافية، وتسهيل مراقبة الثوار من سكان الجبال، لا سيما المصامدة، وفي هذا الصدد أورد البيدق أن "المجسمين أخذوا الحصون وبنوها في مواضع دارت بها الجبال من جميع الجهات لكي ينتصروا على الموحدين"^(٢٧)، وقد وضعوا على كل حصن قائد عسكري، وقد ذكر البيدق بعض هذه الحصون مع أسماء زعمائها، ومنها "حصن تادلة وحصن تاكرورت، كان فيه يداليم، وكان على رأي علي بن يوسف، وحصن داي الذي كان فيه إبراهيم بن سامدن، وحصن تاكرارت كان فيه يحيى بن سافور (...) "^(٢٨).

وأحوازها، فإن الواضح من أوصاف الإدريسي، أن مدينة تادلة، كانت مجاورة لحاضرة داي، ولا تقل عنها أهمية، والمسافة الفاصلة بينهما لا تتعدى مرحلة واحدة. ترى ما المقصود بمدينة تادلة عند الإدريسي؟

الواقع أن ما جاد به صاحب نزهة المشتاق، يظل قاصراً عن معرفة موقع وخصائص هذه المدينة بالتحديد، غير أن رواية صاحب الاستبصار، من أهل القرن السادس الهجري، تحمل بعض الإشارات المفيدة في هذا السياق، فقد ذكر أن "مدينة تادلا، مدينة قديمة فيها آثار للأول، بنى فيها المثلثون حصناً عظيماً منيفاً، وهو الآن معمور، فيه الأسواق والجامع، والبلد كله كثير الخيرات والأرزاق، وأحاطت به القبائل من كل الجهات، فهو حقيق بالمملكة، والأمر العزيز أدام الله دوامه، ملتفت له، محتاط عليه"^(٢٦).

إن الأوصاف والإشارات التي جاد بها صاحب كتاب الاستبصار عن مدينة تادلة، نظير قوله: "مدينة قديمة، وفيها آثار للأول، بنى فيها المثلثون حصناً عظيماً منيفاً (...)"، فيه الأسواق والجامع"، وكذا تحديد الإدريسي^(٢٧) وابن عبد المنعم الحميري^(٢٨) المسافة بين تادلة وداي في مرحلة واحدة، هي قرائن نرجح من خلالها أن المقصود بمدينة تادلة، هو حصن تآكرارت الذي ذكره البيدق الصنهاجي، وبهذا نرجح مع أحد الباحثين^(٢٩) أن تكون مدينة تادلا هي مدينة تآكريرت الحالية، وهي المدينة التي ظلت تضاهي مدينة داي على مستوى التعمير والخيرات، فبهاتين "البلدتين (داي وتادلة) أرزاق ومعاش وخصب، ونعم شتى، وأهلها أخلاط من البربر"، بحسب وصف الإدريسي^(٣٠).

والمثير للانتباه، أن مدينة تادلة ومعها مدينة داي، لم يعد لهما ذكر في كتب الأوصاف والجغرافيا والرحلات، بعد القرن (١٢هـ/١٢م)، باستثناء إشارات منقولة عن البكري والإدريسي، فقد نقل ابن سعيد خلال القرن السابع الهجري رواية الإدريسي بحديثه عن جبال صنهاجة حيث توجد قاعدة الصنهاجيين "مدينة تادلا"^(٣١)، كما تحدث ياقوت الحموي (ق٥هـ) عن "تادلة بفتح الدال واللام"^(٣٢)، كمنطقة "من جبال البربر بالمغرب"^(٣٣) دون تحديد مفيد لموقعها. أما ابن الخطيب، فعلى الرغم من مروره على بلاد تادلا خلال القرن الثامن

ويبدو أن مدينة داي، كانت حاضرة مسورة منذ القرن الخامس الهجري على الأقل، كما كانت تحتضن سوقاً رائجة يقصدها التجار من مختلف المدن المجاورة خاصة فاس وأغمات وسجلماسة، كما أن المسافة الفاصلة بين مدينة داي و وادي درنة، أحد روافد نهر وانسييف (أم الربيع)، لا تتعدى مرحلة واحدة، وهي نفس المسافة التي تفصل بين داي وامغيلة موطن القبيلة التي لا تزال تحمل نفس التسمية^(١٩). وكل هذه المواصفات تنطبق على موقع مدينة بني ملال الحالية حيث توجد المدينة العتيقة وزاوية الصومعة.

وبناء على مواصفات أبي عبيد البكري لمدينة داي، يبدو أن أحد الباحثين^(٢٠) قد حاد عن الصواب حين حدد موقعها "بالجبال الواقعة بين قسبة تادلا وبني ملال غير بعيد عن حصن تآكرارت"، إذ لا وجود في الواقع لجبال بين قسبة تادلا وبني ملال، كما أن بني ملال هي نفسها مدينة داي التاريخية، وهو ما احتفظت به الرواية الشفوية^(٢١) التي ذكرت أن داي مدينة أسست مكان مدينة بني ملال الحالية، وأنها تعرضت للتدمير من قبل المرابطين على عهد يوسف بن تاشفين^(٢٢).

ومهما يكن من أمر، عن مدى صحة رواية التدمير الذي طال مدينة داي على عهد المرابطين^(٢٣)، فإن الثابت أن إشعاع هذه المدينة، قد استمر خلال فترة طويلة من القرن السادس الهجري، كحاضرة عريقة بالمغرب الأقصى، وهو ما أكده الإدريسي حين وصفها بالحاضرة الصغيرة " لكنها كثيرة العامر، والقوافل عليها صادرة وواردة، ويزرع بها وبأرضها كثير القطن، ولكنه بمدينة تادلة يزرع أكثر مما يزرع بمدينة داي"^(٢٤).

ولئن تضمن نص الإدريسي إشارات واضحة عن حركة التعمير الواسعة بمدينة داي خلال القرن السادس الهجري، فإنه قد ميز بالمقابل بين حاضرتين تادليتين، هما مدينة داي ومدينة تادلة، فوصف الأولى بأنها صغيرة، لكنها كثيرة السكان والمساكن، بينما وصف الثانية بتفوقها عن داي في زراعة القطن، مضيفاً، في محاولة لتحديد الموقع، أن "بين داي وتادلة مرحلة، ومدينة داي في أسفل جبل، خارج من جبل درن، وهي مدينة بها معدن النحاس الخالص (...)"^(٢٥). وبغض النظر عن مدى صحة وجود معدن النحاس بداي

الأطلس على بعد نحو خمسة أميال من السهل^(٣٩)، ويضيف أن "بين أفزا وتفزة نهر يدعى درنة، ينبع من الأطلس، يخترق السهل إلى أن يصب في نهر أم الربيع (...)"^(٤٠)، وأن أصل تسمية المدينة بتفزة، يعزى لسورها "المبني من الحجر الكلسي المدعو عند أهل البلد بتفزا، ومن ثم جاءت تسمية المدينة"^(٤١). ويؤكد مارمول تحصيل المدينة التي كانت "محاطة بأسوار متينة، ومزودة بأبراج جيدة"^(٤٢).

إن المواصفات والقرائن التي حددها الحسن الوزان لحاضرة تفزة حين جعلها "حاضرة تادلة"، وذات "سور من الحجر الكلسي"، وتقع "في منحدر الأطلس على بعد خمسة أميال من السهل"، وبينها وبين أفزا "نهر يدعى درنة"^(٤٣)، تدل جميعها على أن المقصود بتفزة هي مدينة تاكزيرت الحالية^(٤٤)، لتكون بذلك هذه المدينة، قد فقدت تسمية تاكزورت التي أشار إليها البيدق الصنهاجي لفائدة تسمية "تفزة" التي صارت متداولة خلال القرن العاشر الهجري فالتقطها الحسن الوزان أثناء زيارته للمنطقة سنة ٩١٥هـ.. لتستعيد تسميتها الأصلية من جديد.

ومما يؤكد هذا الترجيح، وصف أهل مدينة تفزة بالثراء المادي، وهي الصفة التي اشتهرت بها مدينة تاكزورت كمركز عمران وحصن عسكري منذ القرن الخامس الهجري، فمدينة تفزة (تاكزيرت الحالية)، سكانها "كثيرون، أثرياء، وفيها نحو مائتي دار لليهود، كلهم تجار أو صناع"، ويقصدها "عدد وافر من التجار الغريباء ليشتروا منها بعض المعاطف"^(٤٥) السود التي تتسح قطعة واحدة بغطاء الرأس^(٤٦)، كما أن هذه المدينة تزخر "بعدد وافر من المساجد والأئمة والقضاة"^(٤٧)، وأهلها مجاورون لبني جابر الذين يهبون لنجدتهم للعلاقة القائمة بينهم في إطار القبيلة الكبرى جشم^(٤٨)، وكلها أوصاف تنطبق، من دون شك، على موقع تاكزيرت^(٤٩) الحالية دون غيرها. وإذا ثبت أن اسم "تفزة"، قد عوض اسم مدينة تاكزورت التاريخية، فما المقصود بأفزا عند كل من الحسن الوزان ومارمول كاربخال؟

يذكر الوزان أن بين مدينتي تفزة وأفزا، نهر يدعى درنة ينبع من الأطلس، ويخترق السهل إلى أن يصب في

الهجري، ونزوله في ضيافة أحد مشايخ عرب الخلط بها، المسمى امبارك بن عطية بن مهلهل الخلطي^(٣٤)، فإنه لم يذكر شيئاً عن مدينة داي وحاضرة تادلا ومركز تاكرات وغيرها من المراكز العمرانية التي تواتر ذكرها ضمن المصادر الإخبارية الموحدية.

وبالمقابل، فقد انفرد ابن الخطيب بذكر مراكز عمرانية تادلية أخرى، ومنها "تيط أفوران"، أو أفوران الحالية، وهو المركز العمراني الذي كان مأهولاً به قصر وبيوت وسوق، وقد تسمى بالعين التي "تفجرت به للزال (...)"، وتسمن ذروه البيوت، منها قصر مشيد (...). ودارت البيوت كما نسج العنكبوت، وعج بإزائه السوق^(٣٥)، على حد وصف لسان الدين ابن الخطيب، كما ذكر مركز "أولاد زمام" الحالية، فأورد أن نزوله، كان "بالزاوية"^(٣٦)، حيث قبر زمام، وأبي زمام، ورعي واهتمام، (...) رحب بنا أهله، وأسهل علينا رحبه وسهله (...). فلما أصبحنا، بكرنا محلته الأهلة (...). ونظرنا إلى معاهد ومواطن، ومسكن يعرف أصالة قاطن تيط أفوران^(٣٧).

وإذا كان ابن الخطيب، قد عزف عن ذكر مدينتي داي وتادلة، فهل هذا يعني أن هاتين المدينتين، لم يعد لهما ذكر ضمن المصادر المصنفة بعد القرن السادس الهجري، أم أن المدينتين قد أصابهما الخراب منذ عهد الموحدين، فاندرس الاسم كما اندرس العمران؟ إن فحص مصادر الرحلة المصنفة أواخر العصر الوسيط، لاسيما مصنف كل من الحسن الوزان ومارمول كاربخال، يؤكد الإجماع التام عن ذكر حاضرتي داي وتادلة، بل نلفيهما يطلقان اسم تادلا على المجال برمته، لا على المدينة تحديداً، مما يؤكد ظهور أسماء جديدة عوضت الأسماء القديمة أواخر العصر الوسيط.

ذكر الحسن الوزان وبعده مارمول، مركزان حضريان رئيسيان بمنطقة تادلا، أولهما اسمه تفزة وهي "حاضرة تادلا التابعة للملك فاس"^(٣٨)، وثانيهما أفزا وهي مدينة تابعة للأولى، مؤكداً أن كلتا المدينتان، شهدتا رواجاً اقتصادياً مهماً أواخر عصر الوطاسيين وبداية السعديين. فما المقصود بمدينتي تفزة وأفزا ضمن المجال التادلي، وماذا عن موقعهما؟ أشار الحسن الوزان أن "تفزة هي حاضرة تادلة، بناها الأفارقة في منحدر

إلى أن خضعت لسلطة السعديين سنة (٩١٦هـ/ ١٥١٠م)^(٦١).

وبالمثل، ذكر الوزان مدينة أيت عياض^(٦٢) (أو بني عياض الحالية)، واصفا إياها بالمدينة الواقعة "على جبل صغير بالأطلس، فيها نحو ثلاثمائة كانون، وهي مسورة من ناحية واحدة التي تتجه إلى الجبل، وليس لها سور من الجهة المشرفة على السهل، لأن الصخور كافية لحمايتها، وتبعد عن المدينة السابقة (أيت عتاب) بنحو إثني عشر ميلا"^(٦٣)، وينعقد بهذه المدينة سوق أسبوعي يوم الثلاثاء، وهي المدينة التي كانت ملجأً للثائر رحمون بن كبحزان خلال فترة الصراع بين الوطاسيين والسعديين.

ومن التجمعات السكنية الأخرى التي أورد الحسن الوزان اسماءها بمنطقة تادلا، نذكر جبل دادس، و"سكن معظمهم في كهوف رطبة، ويقتاتون بالشعير والعصيد المصنوع من دقيق الشعير المطبوخ في الماء والملح"^(٦٤). كما ذكر جبل مغران الذي وصف أهله بأنهم يفتقرون "لمنازل قارة، وإنما يقطنون في أكواخ من لحاء الشجر"^(٦٥). وجبل سكيم الذي وصف "الأماكن المسكونة فيه، (بأنها) فقيرة وبعيدة بعضها عن بعض حتى إنك قلما تجد ثلاثة بيوت أو أربعة مجتمعة"^(٦٦).

ولعل حديث الوزان عن "سكنى الكهوف"، و"الافتقار لمنازل قارة"، و"تباعد الأماكن المسكونة"، كلها عبارات، توحي بضعف نشاط التعمير بالمناطق الجبلية ببلاد تادلا خلال العصر الوسيط، مقارنة بمنطقة الدير والسهول، كما يحيل ذلك أيضاً، على نمط عيش سكان الجبال الذي كان يعتمد أساساً على الرعي والترحال تبعاً لمواطن الماء والكلأ، حيث تسود بعض أنواع المساكن المرتبطة بهذا النمط من العيش، ويتعلق الأمر بالخيمة^(٦٧)، وهو سكن متنقل يصنع من شعر الماعز وغيره، ويعتمد بالجبال كما بالسهول من قبل السكان الذين اعتادوا حياة الرعي و الانتجاع، ولعل هذا النوع من المساكن هو ما سماه ابن خلدون بعمران أهل البدو، فهؤلاء "أهل خيام وظواعن وقياطن وكنن في الجبال"^(٦٨).

نهر أم الربيع، ويضيف أن "أفزا مدينة صغيرة، على بعد نحو ميلين من تفضة، تشتمل على قرابة مائة كانون، وقد بنيت على تل في سفح الأطلس"^(٦٩).

ويبدو أن أوصاف الحسن الوزان، وإن كانت مفيدة، فإنها تظل قاصرة عن تحديد موقع مدينة أفزا بدقة ضمن المجال التادلي، غير أن إشارة مارمول التي أورد فيها التسميتان "أفزا" و"فشتالة" معطوفتان عن بعضهما البعض، "أفزا أو فشتالة"^(٧٠)، قد حسم الأمر حول المقصود بأفزا، فهي فشتالة الحالية، وهي المدينة التي لايفصلها عن تفضة سوى ميلين، وبينها وبين تفضة، وادي درنة، كما أنها المدينة التي "أسسها الأفارقة الأقدمون على ربوة عالية إلى جهة الشمال من الأطلس الكبير على بعد فرسخين من تفضة في اتجاه الشرق (...). وليست المدينة مسورة، لكنها حصينة بموقعها"^(٧١)، ويضيف مارمول أن سكان أفزا أو فشتالة، بحسب تقديرنا، لهم بادية يزرعونها تسمى "بادية فشتالة"^(٧٢) وأهلها "أغنياء يزرعون السهل (...). ويتجر بعضهم بالصوف الرفيع (...). كما يصنعون فيها أقمصة جميلة وثياباً أخرى تسمى فشتالة، تحمل إلى فاس ومراكش، وفي المدينة أزيد من مائة دار لليهود"^(٧٣). وقد تعرض أهلها لنهب عمال^(٧٤) بني وطاس خلال القرن العاشر الهجري، قبل أن تخضع المدينة لسلطة الأشراف السعديين^(٧٥).

٢/٢- مراكز عمرانية احتفظت بنفس التسمية

لقد أورد كل من الحسن الوزان ومارمول كاربخال خلال القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، أسماء بعض المراكز العمرانية التي احتفظت بتسميتها القديمة، مما يشهد على إشعاع عمراني مهم، ونشاط اقتصادي كبير، ساد بهذه المراكز خلال الحقبة الوسيطة. ولعل من أهم المراكز العمرانية، يذكر الوزان مدينة أيت عتاب الواقعة في منحدر جبل شاهق^(٧٦)، على بعد أكثر من ٤٠ كلم جنوب غرب أفزا^(٧٧)، وهي المدينة التي زارها الوزان في العقد الثاني من القرن العاشر الهجري، واصفا إياها "بالكثيرة السكان، العامرة بالنبلاء والفرسان"^(٧٨)، بها سوق أسبوعي ينعقد يوم الأحد، مؤكداً أنها قاومت الوجود الوطاسي لمدة ثلاثة أعوام، قبل أن يسم رجل من اليهود، رئيس الثوار بإيعاز من ملك فاس، فاستسلمت المدينة عام ٩٢١هـ.^(٧٩) وظلت كذلك،

ثالثاً: كتب المناقب والتوصف

تتضمن تراجم صلحاء منطقة تادلا أسماء العديد من المراكز العمرانية، ويأتي كتاب التشوف لابن الزيات، وكتاب المعزى لأحمد بن أبي القاسم الصومعي التادلي^(٦٩) في طليعة المصادر المناقبية التي تضمنت أسماء لمراكز عمرانية كثيرة، منها ما كان مشهوراً ذائع الصيت، كمدينة تادلة وداي، ومنها المراكز القروية التي انتسب إليها صلحاء المنطقة، والتي وردت بشكل شارح ضمن أسمائهم وتراجمهم.

هكذا، ورد اسم "تادلا" مرات عديدة في تراجم الأولياء، ويقصد بها أحياناً تادلا المجال، وأحياناً أخرى تادلة المدينة، فقد ذكر ابن الزيات اسم الولي أبي موسى عيسى ابن سليمان الرفروفي، وهو "من أهل تاجنيت من بلد تادلا"^(٧٠)، ويستخلص من ترجمة أبي يحيى ابن فاخر العبدري أن تادلا كانت مدينة عامرة، فأبي يحيى "أصبح يوماً بتادلا وهو يبكي وينتحب ويلطم خديه منتدماً على ما سلف من فرطاته وسقطاته فسمع به أهل داي"^(٧١)، كما ذكر ابن الزيات "مسجد تادلا"^(٧٢) في أكثر من موضع، وهو ما يتوافق ورواية الإدريسي، وصاحب الاستبصار عن النشاط العمراني لمدينة تادلا خلال القرن السادس الهجري.

وبالمثل، أورد ابن الزيات مدينة داي عدة مرات^(٧٣) فأبو عبد الحليم بن هارون الصديني "من أهل داي من بلد تادلا"^(٧٤)، مما يؤكد ترجيحنا السالف الذكر، من أن مدينة داي كانت تتموقع بنفس المكان الذي توجد عليه مدينة بني ملال الحالية، لأن ضريح سيدي عبد الحليم الصديني، يقع بحي المديولة غير بعيد عن قصبه بني ملال^(٧٥). ويبدو أن هذه المدينة قد تعرضت للتدمير زمن الموحدين سنة ٥٥٩هـ، مما أدى إلى جلاء أهلها وتشتتهم في البلدان^(٧٦) إثر ثورة أحد المتصوفة المسمى عتاب، والذي اتهم بطلب الملك فقبولت تورثه بالقمع والمطاردة الشديدة لشيوخ التصوف في منطقة تادلا ومناطق أخرى واسعة من المغرب^(٧٧). ولعل ثورة هذا المتصوف، والذي نرجح انتماءه إلى قبيلة آيت عتاب الحالية، قد تسببت، دون شك، في خراب عمران مدينة داي، ففقدت اسمها

التاريخي لفائدة تسمية جديدة بعد القرن السادس الهجري، لعلها اسم تفزة السالف الذكر.

ومن جهة أخرى، ذكر ابن الزيات محلة داود بن عائشة^(٧٨)، ولعل المقصود بها الحصن أو القلعة العسكرية المنسوبة للقائد المرابطي الكبير داود بن عائشة، وهي التي يسميها البيدق تاكرارت متاع داود، ومعنى تاكرارت المعسكر أو محلة الجيش، وأطلالها معروفة في ضواحي بني ملال، وقد حدد الأستاذ عبد الوهاب بنمصور موقعها على بعد كلمتين من الضفة اليسرى لنهر درنة وعلى بعد إثنا عشر كلمتراً شمال مدينة بني ملال^(٧٩)، ونرجح أن تكون هي مدينة تاكزيرت الحالية.

ومن المراكز والقري التي ذكرها ابن الزيات والصومعي في سياق تراجم صلحاء بلاد تادلا، نذكر تاجنيت^(٨٠) وإيفرجان^(٨١) وكراوة^(٨٢) ورفروفة^(٨٣) وتاغزوت^(٨٤) وصدينة^(٨٥) وفشتالة^(٨٦) ونظير^(٨٧) وغيرها. وكلها مراكز كانت تقع في الغالب على وادي وانسيفن (أم الربيع) أو رافده وادي درنة^(٨٨). وفيما يلي نجمال أسماء هذه المراكز التي استبقيناها حسب سياق الورد، أو من خلال أسماء الصلحاء، مع محاولة للتعريف بمواقعها الحالية.

المركز العمراني	المصدر والصفحة	سياق الورد	التعريف
رفروفة	"التشوف، ص ١٠٨-١٠٩. المعزى، ص ١٧٢.	" أبو موسى عيسى ابن سليمان الرفروفي من اهل تاجنيت من بلاد تادلا، وبها مات".	رفروفة: اسم مرك عمراني على وادي أم الربيع، يعرف الآن بسيدي عيسى نسبة لاسم الولي المتواجد ضريحه بعين المكان.
تاجنيت	التشوف، ص ٤٤١-٤٤٢. المعزى، ص ١٧٢-١٧٣.	" ومنهم أبو الأمان ابن مشو الرفروفي من أهل تاجنيت من بلد تادلا وبها مات عام ٦١٥هـ".	تاجنيت: أو تاكنيت ومعناه منخفض به بساتين، قريبة من محلة داود بن عائشة، رجح الأستاذ أحمد التوفيق أن تكون فوق مساكن امغيلة الحالية.
صدينة	التشوف، ص ١٦٧-٣٨٥. المعزى، ص ١٧٤.	"أبو عبد الحليم يعقوب الصديني من أهل داي من بلد تادلا".	صدينة: من قبائل سهل تادلا استوطنت موقعا بين داي وقصبة تادلة الحالية. وقبر الولي الذي ينتسب إليها، معروف اليوم بسيدي عبد الحليم بحي المديولة خارج قصبة بني ملال.
فشتالة	التشوف، ص ٢٥٩.	"أبو موسى الفشتالي، وكان يظهر ببلاد تادلا، ولم يكن له مأوى يأوي إليه".	فشتالة: قرية تقع بين قرية فم العنصر وفرياطة على بعد ١٢ كلم عن مدينة بني ملال. وقد كانت بها قلعة مخزنية تعرف بتافرازت، كما يوجد بها ضريح يسمى سيدي أحمد أوموسى، ولعله الولي أبو موسى الفشتالي.
نظير	التشوف، ص ١٣٢. المعزى، ص ١٢٤.	أبو محمد مع الله ابن يحيى بن يجاتن الزناتي من أهل نظير من حومة بلاد تادلا من اهل العلم والعمل،	نظير: قرية توجد على وادي أم الربيع، ويرجح أن تكون قرية أولاد عبد الله الحالية، لأن قبر الولي أبي محمد مع الله يوجد بها ^(٨٩) .

المركز العمراني	المصدر والصفحة	سياق الورود	التعريف
موضع الحواتين	التشوف، ص ١٣٥-١٣٦.	"أبو زكرياء يحيى بن محمد الجراوي ثم المراسني من موضع الحواتين على وادي وانسيفن من بلاد تادلا، وهناك قبره معروف الى الآن".	موضع الحواتين: يوجد بالمكان المقابل لقرية نظير، ويسمى أيضاً بعين الحوت شمال غرب بني ملال، وبه يوجد الآن ضريح سيدي بوزكري.
كراوة/جراوة	التشوف، ص ٢٣٩-٢٤٠-٢٤٩.	"أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف بن الحسن الجراوي من اهل تادلا وبها مات عام ٥٧٢هـ".	كراوة أو جراوة: وتعرف أيضاً باكورارين، وهو اسم لقبيلة من بني صطط من موقع قبيلة كراوة لم يكن بعيداً عن مدينة داي.
إيفرجان	التشوف، ص ٢٦٨.	"أبو الحسن علي بن زكرياء الأسود، من أهل إيفرجان من بلد تادلا (...)"	إيفرجان أو إيفركان: جمع افريك وهو السياج، وأغلب الظن أنها اسم لقرية كانت بها بساتين مسيجة".
تاغزوت	التشوف، ص ٤٠٣. المعزى، ص ١٢٤-١٧٨.	"أبو جعفر محمد بن يوسف الصنهاجي الأسود الساكن بتاغزوت على وادي وانسيفن من بلاد تادلا (...)"	تاغزوت ^(٩٠) : اسم قرية تبعد عن وادي أم الربيع بنحو خمسة أميال على الطريق المؤدي إلى فم العنصر، وبها يوجد ضريح أبي جعفر بن محمد بن يوسف الصنهاجي.
أدخسال	التشوف، ص ٢٦٠.	روى ابن الزيات عن أحد محدثيه قال: "رأيت أبا موسى الفشتالي بمسجد قرية البطم من بلد دخسالة في صلاة المغرب".	أدخسال: أو إدخسان أو إدخسالن، اسم بلدة بتادلا، يبدو أنها تعرضت للاندثار.
داي	التشوف، ص ١٦٨.	"أبو يعقوب يوسف ابن علي المؤذن من اهل داي وبها مات (...) وكان عطارا بداي".	داي: مدينة بني ملال الحالية.

المركز العمراني	المصدر والصفحة	سياق الورود	التعريف
قرية البطم	التشوف، ص. ٢٦٠.	روى ابن الزيات عن أحد محدثيه قال: "رأيت أبا موسى الفشتالي بمسجد قرية البطم من بلد دخسالة في صلاة المغرب".	قرية البطم: قرية بتادلا كان بها مسجد عامر، يبدو أنها تعرضت للاندراس.
ايت وغفجمي	التشوف، ص. ٣٢٧-٣٢٨.	"أبو محمد يسكرين موسى الجراوي ثم العجمي، نشأ بتاجنيت من بلد تادلا، ثم نزل بفاس وبها مات (...) عام ٥٩٨هـ" (٩١).	أيت وغفجمي: اسم قبيلة بتادلا، وهي تسمية مركبة من اغف: الرأس، الدار أو أهل باب الدار، ويبدو أن هذه التسمية لم يعد لها وجود حالياً بالمجال التادلي.

عبد المومن ومنها انطلقت المعارضة السياسية للمتصوفة ضدهم، فلأن هؤلاء دأبوا على تخريب عدد كبير من المدن والحصون، وبناء أخرى جديدة في محاولة لطمس الآثار المعمارية المنسوبة للمرابطين، وكذلك كان شأن عبد المومن الذي "بنى مسجداً آخر بمراكش (...) وهدم الجامع الذي كان أسفل المدينة الذي بناه علي بن يوسف" (٩٥)، وكان ذلك لغرض واحد "هو أن يمحي اسم علي ويجعل اسمه هو مكانه، فذهب عمله سدى، لأنه لا يجري على ألسنة الناس إلى الآن إلا الاسم القديم" (٩٦).

والواقع أن تخريب المدن والمعالم العمرانية من طرف الدولة المتغلبة شكل ثابتاً أساسياً من ثوابت السياسة العسكرية للدول المركزية التي تعاقبت على حكم بلاد المغرب خلال العصر الوسيط، فالتدمير لم يكن في واقعه يستهدف تلك المعالم، بقدر ما كان يستهدف طمس كل وجود مادي للدولة المنقرضة. وهكذا فإن سياسة الهدم والإحراق ونسف الآثار من طرف السلاطين المتغلبين تعد مسؤولية في جزء كبير، عن الركود العمراني الذي شهده الغرب الإسلامي الوسيط. فالسلاطين الجدد، كانوا مضطرين بعد استقرار الوضع إلى هدم وإعادة بناء أو ترميم ما شيده أسلافهم، وهو الأمر الذي كان يفوت عليهم فرصة إضافة منشآت جديدة (٩٧).

يبدو من خلال جرد أسماء المراكز العمرانية التادلية بكتابي التشوف والمعزى، أنها تمركزت جميعها في محيط حاضرة داي (بني ملال) بمحاذاة وادي وانسيفن (أم الربيع) أو رافده وادي درنة، كما أن كثيراً منها كان يقع بمنطقة الدير والسهول المجاورة، وقد تعرض معظمها للاندراس، فاندرس تبعاً لذلك اسمها أيضاً. وعلى الرغم من تصريح أحد الباحثين، أن منطقة تادلا كانت "موطن قبائل متعددة وعمارة واسعة" (٩٢)، فإن ما ذكره ابن الزيات عن مراكزها العمرانية، يظل مجرد إشارات شاردة، إذ لم تحظ عنده بالتعريف اللازم، ولا غرو، فقد كان المقصد من تشوفه، لا يتعدى جمع أخبار الصالحين والعباد (٩٣).

وقد كانت، معظم هذه المراكز، تتوفر على مساجد عامرة، كما أنجبت رجالات عرفوا بالصلاح والعلم، وعمرتها قبائل صنهاجية ظلت تدين بالولاء للمرابطين، لذلك نرجح مسألة تخريبها وتعرض أهلها للقتل والتهجير من قبل الجيوش الموحدية، ولنا في حادثة داي وجلاء أهلها، وقتل عدد كبير من سكان قرية نظير، في إطار عملية التمييز الموحدية (٩٤)، خير دليل على ما نذهب إليه. ولئن كنا نرجح تخريب الموحدين لعدد من الحصون والقرى بمنطقة تادلا التي ناصبت العداء لبني

الجبال المطلة على تادلا^(١٠١)، مؤكداً في موضع آخر، تنوع سكان المجال التادلي، بحضور قبائل من زناتة وصناكة وهسكورة بالجبال، في حين ظلت المناطق السهلية تحت نفوذ العناصر العربية، فيقول "و بقيت البسائط من الغرب مثل أزغار وتامسنا وتادلا ودكالة، واعتمرها الضواغن من العرب الطارئين عليه من جشم ورياح، ففص المغرب بساكنه من أمم لا يحصيه إلا خالقهم"^(١٠٢).

وإذا كان الحسن الوزان، قد جعل من وادي العبيد حداً فاصلاً بين تادلا الصنهاجية وهسكورة^(١٠٣)، واصفاً بعض التجمعات السكنية هنا وهناك، فإن صاحب كتاب الأنساب^(١٠٤)، قد أورد أسماء مجموعة من القبائل ضمن المجال التادلي دون ذكر مواطنها بالتحديد، مشيراً بالمقابل إلى علاقة النسب القائمة بين المجموعتين القبليتين، فأكد أن زعيم صنهاجة التي ظلت تقطن بلاد تادلا التاريخية، ليس سوى ابن زعيم هسكورة، وأن "مصطاو وصاد وتيفت وجلالوة هم أولاد توطس"^(١٠٥)، أما "فظواك وسايوي وغجدام وسكور، أولاد توطس من امرأة أخرى، ووريك ابن توطس من امرأة أخرى، وهو أصغر أولاد توطس"^(١٠٦).

وفي سياق ذكر البيدق لقبائل صنهاجة الظل^(١٠٧)، الذين يسكنون الجبل ويحتمون به من وهج الشمس ولفح الحر، أكد أنهم "ينقسمون إلى قسمين: بنو أين كفو وبنو صطط، فبنو اين كفو ينقسمون إلى خمسة أخماس، وذلك بدرجاتهم على حسب تواليهم في التمييز، وهم السابقون في صنهاجة الظل أعني بني اين كفو، فمن ذلك بنو مزاوة، أيت مزاوت معا، وهم خمس، وينقسمون إلى أربعة أفخاذ بنو واستغ معا، بنو يلينا (بتشديد وكسر اللام)، بنو عمير أيت عمير^(١٠٨) معا، بنو ويزكان أيت ويزكان معا، ثم بنو زديكة وخمس، أيت زديكت معا، وفشتالة أيفشتالن معا خمس، وبنو يزيد أيت يزيد^(١٠٩) معا وسوالة خمس، آسالين(بتشديد) وفتح السين) معا"^(١١٠). ومن فروع صنهاجة أيضاً يذكر البيدق، "بنو صطاط وينقسمون أيضاً إلى خمسة أخماس، وذلك بدرجاتهم على حسب تواليهم في التمييز، من تنارة أيت تنار معا، وهم خمس، وبنو لزم،

ومن الأمثلة الشاهدة على ظاهرة عمليات التخريب ثم إعادة البناء، ما أورده صاحب "جنى زهرة الآس"^(٩٨)، عن الخليفة الموحيدي عبد بن المومن بن علي الذي أمر سنة ٥٤٢هـ " بهدم أكثر الأسوار، إلى أن بدأ ببناء ما تهدم، يعقوب المنصور، وكمله ولده أبو عبد الله الناصر"، لذلك أمكن القول، مع أحد الباحثين^(٩٩)، أن الدول الوسيطية كانت تعيش زمناً دائرياً قطباه الأساسيان هما: العمران والخراب أو البناء والهدم، وعليه فإن الاهتمام بالبناء والتشييد عد عملاً "سيزيفياً"، مادام أن كل عمران آيل للخراب في إحدى لحظات الضعف التي ستعرفها الدولة حتماً.

رابعاً: كتب الأنساب

لم تحد كتب الأنساب في تناولها لبعض المكونات الإثنية للمجتمع التادلي عن ذات التوجه، فقد أشارت إلى عدد مهم من القبائل والتجمعات البشرية دون أن تعبر اهتماماً لتوطينها المجالي، وبذلك ظلت معطياتها التاريخية عن المراكز العمرانية، مجرد إشارات باهتة ومتناثرة وردت في سياق ذكر بعض المجموعات الأثنية الصنهاجية التي تضرب بجذورها بعيداً في تاريخ المجال التادلي، غير أن رصد مواطن استقرارها يظل صعب المنال، ما لم يعزز بالتحريات الميدانية والبحث الأثري، على الأقل في المناطق التي لاتزال تحمل التسمية الأصلية، وذلك بقصد ربط الماضي بالحاضر في أفق تقريب صورة المواقع الأثرية القديمة بالمنطقة، تمهيداً للبحث الأثري.

ذكر ابن سعيد في سياق حديثه عن صنهاجة أن البربر "أصلهم من عرب اليمن، والعروبية فيهم ظاهرة، وبين جبالهم قاعدتهم مدينة تادلا"^(١١٠)، فأشار إلى مدينة تادلا دون توطين، مكتفياً بذكر حضور العنصر الصنهاجي بالجبال المحيطة بها.

أما ابن خلدون، وعلى الرغم من عنايته بأنساب القبائل والمجموعات الإثنية، فإنه صمت عن توطين القبائل وذكر المراكز العمرانية ببلاد تادلا، مكتفياً بالإشارة إلى أن صنهاجة كانت من أهم القبائل التي تقطن جبال هذه المنطقة فيقول أن "لصنهاجة بين قبائل الغرب وفور عدد، وشدة بأس ومنعة، وأعزهم جانباً أهل

مشاهداته في صباه عن أهل تونس، وهم يهدمون حنايا قرطاجنة لإعادة استعمال أحجارها في البناء^(١١٣).

خاتمة

على الرغم من ضعف الإشارات والقرائن التاريخية التي تخص المراكز العمرانية بالمجال التادلي خلال العصر الوسيط، فإن جمع شتات ما تفرق منها في مختلف الأجناس المصدرية، من شأنه أن يقدم إضاءات مفيدة لفائدة البحث الأركيولوجي الذي لا زال يتلمس خطواته الأولى بالمنطقة. وهكذا فإن كتب الحوليات التاريخية، وإن كانت لا تسمح للباحث اليوم بإعادة كتابة تاريخ المراكز العمرانية التادلية خلال العصر الوسيط، فإنها تضمنت إشارات مفيدة عنها في سياق حديثها عن الحملات العسكرية التي طالت المنطقة، واستهدفت تخريب الحصون والقرى، ونسف المزارع، وسبي السكان، ومصادرة المواشي والأنعام، لا سيما خلال الفترة الموحدية.

وبالمثل، فإن اعتماد كتب المناقب وتراجم الرجال والمتصوفة، ورصد أسماء الأضرحة والقبائل التي استوطنت المجال التادلي خلال الحقبة الوسيطة، من شأنه أن يساعد في استنباط بعض أسماء المراكز العمرانية التادلية ورصد مواقعها التاريخية. كما أن كتب الجغرافيا والرحلات والأوصاف، تظل على قدر كبير من الأهمية في الكشف عن مواقع المراكز العمرانية التادلية الوسيطة، وإن كانت لا تقدم أحياناً سوى معلومات متضاربة، وإشارات غامضة، تتطلب من الباحث الكثير من الجهد، تمحيصاً وتأملاً ومقارنة.

ومهما يكن من أمر، فإن رصد مختلف الإشارات المصدرية عن المراكز العمرانية التادلية خلال العصر الوسيط، قد أتاح لنا الخروج بالخلاصات التالية:

- إن تعدد أسماء المراكز العمرانية التادلية وتنوعها (حضرية/ قروية)، يشهد على حركة عمرانية نشيطة بالمنطقة خلال العصر الوسيط، ولا غرو، فقد شكلت بلاد تادلا مركزاً للجذب، وموطناً لاستقرار العديد من المجموعات البشرية بفضل موقعها الحيوي، ومواردها الطبيعية والاقتصادية الهائلة.

أيت لزم معا خمس، وبنو بوكماز، وجرأوة خمس، أيت بوكماز، أيكوراين معا^(١١١).

ويمكن التقاط بعض الإشارات الشاردة عن التجمعات السكنية والمراكز العمرانية التي كانت قائمة بالمجال التادلي خلال العصر الوسيط، انطلاقاً من أسماء القبائل التي استوطنت المجال التادلي خلال العصر الموحدية، ومنها على سبيل الذكر أيت مصاد، وأيت توطس، وفتواكة وغيرها من القبائل التادلية العريقة التي لا تزال تحمل نفس الاسم. وبالعودة إلى المجال التادلي بمفهومه الواسع^(١١٢)، يتضح أن بعض فروع قبيلة صنهاجة المذكورة، لا تزال تقطن إلى يومنا الحاضر بالمنطقة، كما أن تتبع طبونيميا المجال ومقارنة ذلك بما ورد في المصادر الوسيطة، من شأنه أن يقدم إضاءات جديدة في الموضوع.

إن تأمل أسماء بعض القرى والقبائل التابعة حالياً لإقليم أزيلال، ومنها أيت مصاد وأيت توطس وأيت واستغ (أيت واستر)، وأيت بوكفو، وأيت بوكماز، يتضح أنها قد شكلت تجمعات بشرية وعمرانية مهمة، في حين امتدت بعض هذه القبائل إلى المنطقة الشرقية ومنها قبيلة فتواكة (إفتواكن) التي تشير إلى قبيلة تستوطن حالياً ناحية تاكزيرت بإقليم بني ملال. وكطاية أو "بنو تكطا" التابعة إدارياً لقصبة تادلة حالياً، مع العلم أن تحركات القبائل في إطار الهجرات، جعلت العديد منها تغير مواطنها الأصلية ولأسباب مختلفة، إلى مناطق أخرى، لذلك يبدو من الصعوبة بمكان الحديث عن مراكز عمرانية وسيطية بالمناطق التي تستوطنها هذه القبائل، لأن مواطن استقرارها الحالية، قد تكون غير تلك التي وجدت بها خلال العصر الوسيط.

ومما يزيد من صعوبة الأمر، أن معظم الحصون والمراكز العمرانية التادلية الوسيطة، قد تعرضت للطمس والاندثار، فقد عفا عنها الزمن، ليس بسبب الإهمال فحسب، ولكن بسبب استعمال السكان لأنقاض المباني القديمة، وهي الظاهرة التي عرفت انتشاراً واسعاً في العصر الوسيط، ببلاد المغرب عامة، مما ساهم إلى أبعد الحدود، في اندراس ما استمر منها قائماً في تلك الفترة، ولا غرو فقد دون ابن خلدون

الإحالات المرجعية:

- (١) باستثناء دراستين الأولى للمؤرخ الفرنسي غوتيه (Gautier) حول مدينة أوداي، والثانية حول نفس الموضوع للأستاذ محمد العاملي، وقد اعتمدت الدراسة الثانية على نتائج الأولى، لا نكاد نجد دراسة متخصصة ووافية عن المراكز العمرانية بمنطقة تادلا. أنظر: Hesperis, « Medinat OU-DAI », Gautier (E.F), 7-8: (T.IV, Rabat, 1926), Tamuda.
- أيضاً: محمد العاملي، **دای أو أوداي، من خلال مصادر العصر الوسيط**، مجلة تادلا للتاريخ والمجال والثقافة، الملتقى العلمي لمنطقة تادلا، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، (البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٢م)، ٥١-٥٦.
- (٢) ابن أبي رزق، **الأنيس المطرب بروض القرباس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب بن منصور، (الرباط، المطبعة الملكية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ١٦٣-١٦٤. الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج٢، تحقيق وتعليق أحمد الناصري، أشرف على النشر محمد حجي، إبراهيم بوطالب، أحمد التوفيق، (البيضاء: منشورات وزارة الثقافة والاتصال، مطبعة النجاح الجديدة، 2001)، ١٥٦.
- (٣) الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج٢، ١٦٧.
- (٤) ابن القطان، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، درسه وقدم له وحققه محمود علي مكي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990)، ٢٤٩-٢٥٠.
- والى غزوة عبد المومن الشهيرة لبلاد تادلا وهزيمته للمرابطين بها، يشير الشاعر بقوله:
وكان فيما مضى رجع ومزجر لو كان للقوم تفكير وتحصيل
أما كفتهم بسمار وتادلسة وما وراءهما تلك الأفاعيل،
أنظر: ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، تحقيق عبد الهادي التازي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧م)، ٣٣٧.
- (٥) ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، قسم الموحدين، تحقيق إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنبير، وعبد القادر زمامة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥هـ/١٩٨٥م)، ١٩٩. ابن القطان المراكشي، **نظم الجمان**، ٢٠٧، الهامش رقم: ٢.
- (٦) البيدق، **أخبار المهدي وبداية دولة الموحدين**، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧١م)، ٤٩-٥٠.
- (٧) ابن أبي رزق الفاسي، **الأنيس المطرب**، ١٨٥.
- (٨) البيدق، **أخبار المهدي وبداية دولة الموحدين**، ٥٠.
- (٩) البيدق، **أخبار المهدي وبداية دولة الموحدين**، ٥٠.
- (١٠) **تيزي**: اسم لمركز قروي صغير، لا زال يحمل نفس الاسم، كما يعرف باسم تيزي غنيم، وهو غير بعيد عن ووايزغت الحالية.
- (١١) ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج٦، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ٢٤٧.
- (١٢) ابن أبي رزق الفاسي، **الأنيس المطرب**، ٨٦.

- تنوع مكونات العمران بمنطقة تادلا، والتي كانت تتمثل في الدور والحصون العسكرية والمساجد والحوانيت والأسواق والأضرحة والأسوار وغيرها، علماً أن أهم المراكز العمرانية كانت تمتد على ضفاف نهري وداي أم الربيع (وانسيفن) أو وادي درنة.
- أغلب المراكز العمرانية كانت ذات أسماء أمازيغية صرفه، مما يوحي بأهمية اللغة الأمازيغية بمنطقة تادلا حتى أواخر العصر الوسيط على الرغم من استيطان العنصر العربي، ونشاط حركة التعريب التي قادها المرينيون بعموم المغرب، منذ مطلع القرن الثامن الهجري.
- صعوبة تحديد المواقع التاريخية للمراكز العمرانية التادلية الوسيطية التي أوردتها المصادر العربية، فباستثناء المراكز العمرانية التي احتفظت بنفس التسمية، فإن تحديد مواقع أغلب المراكز العمرانية التادلية بدقة، يبدو أمراً صعب المنال، خاصة وأن معظمها قد اندرس وعفا عنه الزمن، بل واستبدلت أسماءها التاريخية بأسماء جديدة، ومنها نذكر صدينة وإيفرجان وكراوة وتاجنيت... وغيرها.
- إن محاولة تحديد مواقع المراكز العمرانية التادلية، اعتماداً على المصادر العربية المكتوبة، يُعدّ عملاً تأصيلياً، ومدخلاً مهماً لاستئناف الدراسات الأركيولوجية بالمنطقة، وهو ما يقتضي من الباحثين تظافر الجهود، قصد الكشف عما تزخر به منطقة تادلا من مواقع أثرية إسلامية مهمة.

- (٣١) ابن سعيد، **بسط الأرض في الطول والعرض**، تحقيق خوان فرنيث خينيس، (تطوان: معهد مولاي الحسن، ١٩٥٨م)، ٥٨-٥٩.
- (٣٢) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، المجلد: ٢، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م)، ٦٠.
- (٣٣) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ٦٠.
- (٣٤) **يدو** أن ابن الخطيب كان يطمع في عطاء هذا الشيخ، فمدحه بقصيدة كان مطلعها:
عرصات دارك للضياف مبارك وبضوء نار قرارك يهدى السالك.
ونوالك المبدول قد شمل الوري طوا وفضلك ليس فيه مشارك.
- أنظر: ابن الخطيب، **نفاضة الجراب في عللة الاغتراب**، تحقيق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الالهواني، (البيضاء، دار النشر المغربية، 2003)، 364.
- وذلك قبل أن يتفاجأ بالإهانة، حين لم يستقبله هذا الشيخ، بعد أن وجه له الدعوة، واكتفى بإرسال الطعام له والبر به، مما حدا بابن الخطيب إلى هجرة المكان ليلا، ليصب جام غضبه بعد ذلك على هؤلاء الأعراب وحكامهم بتامسنا وتادلا فذكر أنهم "أسماء بلا مسمى وألفاظ بلا معنى وسباع قد أخصبوا من سلب قومهم وارتاشوا من بحر عصيهم، وامتصوا عظام عشائهم". - أنظر: ابن الخطيب، **نفاضة الجراب في عللة الاغتراب**، ٣، تحقيق السعدية فاغية، (البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٨٩)، ٩١.
- (٣٥) ابن الخطيب، **نفاضة**، ج3، ٩١.
- (٣٦) ولعل المقصود بالزاوية هنا، زاوية زمام وهو أخ مبارك بن ابراهيم بن عطية بن مهلهل الخلطي، أحد شيوخ العرب الذين تنفذوا بالمنطقة خلال الطور الثاني من عصر الدولة المرينية، وعن زمام وشيوخ عرب الخلط بتادلا يقول ابن خلدون: "ثم صار الخلط كلهم لبني مرين، وكانت الرئاسة فيهم بأول السلطان أبوسعيد، ولم يزل مهلهل بن يحيى بن مقدم، وأصهر اليه يعقوب بن عبد الحق فأنكحه ابنته التي كان منها ابنه السلطان أبو سعيد، ولم يزل مهلهل عليهم الى أن هلك سنة خمس وتسعين وستمئة، ثم ابنه عطية، وكان لعهد السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن (...) ولما هلك قام بأمره أخوه عيسى بن عطية، ثم أخوه زمام بن ابراهيم بن عطية، وبلغ إلى المبالغ من العز والترفع والدالة على السلطان والقرب من مجلسه إلى أن هلك (...)". - راجع: ابن خلدون، **العبر**، ج٦، ٣٢-٣٣.
- (٣٧) ابن الخطيب، **نفاضة الجراب**، ج3، ٩١.
- (٣٨) الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ترجمه عن الفرنسية محمد الاخضر ومحمد حجي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م)، ١٨٤. مارمول كاربخال، **إفريقيا**، ج٢، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد زبير، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، (الرباط: دار نشر المعرفة، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة المعارف الجديدة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٤م)، ١١٧.
- (٣٩) الوزان، **وصف**، ج١، ١٣٩.
- (٤٠) الوزان، **وصف**، ج١، ١٨٣.
- (٤١) الوزان، **وصف**، ج١، ١٧٦.
- (٤٢) مارمول، **افريقيا**، ج٢، ١١٧.
- (٤٣) **مارمول**، ج١، ١٣٩.
- (٤٤) تضاربت آراء الباحثين حول المقصود ب**تفزة**، فبينما يرى الاستاذ البشير بوسلام أن المقصود بها هي فشتالة الحالية، يذهب باحث
- (١٣) **ووايزغت**: كلمة أمازيغية مركبة من شقين: "واو" : من اللولة، و "ازدغت": وتعني حذاري لمن يسكنها، فالمنطقة محصنة طبيعيا، إذ تحيط بها الجبال من كل الجهات.
- (١٤) البيدق، **أخبار المهدي**، ٩٠.
- (١٥) البيدق، **أخبار المهدي**، ٩٢.
- (١٦) عبد الكريم الجويطي، **تاريخ بلاد تادلا، تحيين وتركيب**، ج١، (الرباط: مطبعة البيضاء، ٢٠١٧م)، ٧٢.
- (١٧) البيدق، **أخبار المهدي وبداية دولة الموحدين**، ٧١.
- (١٨) **البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، نشره دي سلان (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٨٥٧م)، ١٥٤.
- (١٩) **امغيلة**: من المناطق التي لا تزال تحتفظ بنفس التسمية بمنطقة تادلا، فهي لا تبعد عن مدينة بني ملال الحالية إلا ببضع كيلومترات، وقد اشتهرت بتربية الخيول منذ زمن بعيد، فقد اشتهر "مقدمهم موسى ابن جليد، وكان شديد الأيدي يمسك بذناب الفرس الجواد ويهزمه فارسه فلا يكون له حراك". - راجع: البكري، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، ١٥٤-١٥٥.
- (٢٠) **عبد الوهاب منصور**، محقق كتاب أخبار المهدي وبداية دولة الموحدين، ٥٠، الهامش: ٨٩-٩٠.
- (٢١) اعتمد هذه الرواية الباحث غوتي في مقاله عن داي بمجلة هيسبريس تمودا، وقد نقلها بدوره عن ضابط الاستخبارات الفرنسية هاريت، أنظر:
- Gautier(E.F), **Medinat OU-DAI**, 7-8
- (22) Gautier(E.F), **Medinat OU-DAI**, 7-8
- أيضاً: **دائرة المعارف الإسلامية**، المجلد٨، مادة **تادلا**، (القاهرة: دار الفكر، دون تاريخ)، 458.
- (23) Gautier(E.F), **Medinat OU-DAI**, 8.
- (٢٤) **الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق التفاق**، ج١، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٩م)، ٢٤١-٢٤٢.
- (٢٥) **الإدريسي، نزهة المشتاق**، ج١، ٢٤١. ابن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م)، ٢٣١.
- (٢٦) **مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق سعد زغول عبد الحميد، (البيضاء: دار النشر المغربية، ١٩٨٥م)، ٢٠٠.
- (٢٧) **نزهة المشتاق**، ج١، ٢٤١.
- (٢٨) ابن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار**، ٢٣١.
- (٢٩) **نؤكد** في هذا الباب رأي الأستاذ أحمد التوفيق الذي ذهب إلى أن المقصود بمدينة تادلة هي تاكزيرت، وليست قصة تادلة الحالية. راجع: **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار ابي العباس السبتي**، تحقيق أحمد التوفيق، (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٢٢، ١٩٩٧م)، ٢٥٥، الهامش رقم: 631، ويقول أحمد التوفيق: "وقد ذكر صاحب الاستبصار مدينة تادلا التي بنى فيها المثلثون حصنا عظيما وبها جامع، والغالب على الظن أن مسجد تادلا المذكور هنا هو مسجد تاكزيرت وليس مسجد داي، لأن المؤلف يذكر هذه الأخيرة باسمها مرارا". **التشوف**، ٢٥٥، الهامش رقم: ٦٣١.
- (٣٠) **الدريسي، نزهة المشتاق في اختراق التفاق**، ج١، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٩م)، ٢٤١-٢٤٢.

- (٦٧) ابن الزيات التادلي، **التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، (البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط٢، ١٩٩٧م)، ٤٠٢-٣٨٥.
- (٦٨) ابن خلدون، **المقدمة**، المجلد٢، تصحيح وفهرسة ابو عبد الله السعيد المندوه، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ٢١.
- (٦٩) أبو القاسم الصومعي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٩٦م).
- (٧٠) الصومعي، **المعزى**، ١٠٨.
- (٧١) الصومعي، **المعزى**، ١٧٥.
- (٧٢) الصومعي، **المعزى**، ١٣٤-٢٣٩.
- (٧٣) ابن الزيات، **التشوف**، ١٦٧-١٦٨-٣.
- (٧٤) ابن الزيات، **التشوف**، ١٦٦-١٦٧.
- (٧٥) ابن الزيات، **التشوف**، ١٦٦.
- (٧٦) ابن الزيات، **التشوف**، ٢٠-٣٩٥-٤٠٢.
- (٧٧) لعل من المناطق التي شهدت مطاردة الموحدين لرجال التصوف بها، نذكر دكالة، فقد ورد في ترجمة أبي محمد ابن موسى الدغوعي، أنه قال " طلبت في أيام عتاب طلبا شديدا، ولو وجدت لقتلت، ففررت في يوم صائف إلى خيمة، فقعدت فيها ودابتي واقفة عند باب الخيمة، وإذا بفرسان قد اقتفوا أثري(...)" . أنظر: ابن الزيات، **التشوف**، ٤٠٢.
- (٧٨) ابن الزيات، **التشوف**، ٤٤٢.
- (٧٩) ابن الزيات **التشوف**، ٣٩٧، الهامش رقم: ٢٣٥. أيضا: البيدق الصنهاجي، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، راجعه وحققه عبد الوهاب بن منصور، (الرباط: المطبعة الملكية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ٥٠. الهامش رقم: ٨٩.
- (٨٠) ابن الزيات **التشوف**، ٣٣٧-٣٣٨-٣٤٠.
- (٨١) ابن الزيات **التشوف**، ٢٦٨.
- (٨٢) ابن الزيات **التشوف**، ١٥٨-٢٣٩-٢٤٧-٢٤٩.
- (٨٣) ابن الزيات **التشوف**، ٤٤٢.
- (٨٤) ابن الزيات **التشوف**، ٤٠٣.
- (٨٥) ابن الزيات **التشوف**، ٣٨٥.
- (٨٦) ابن الزيات **التشوف**، ٢٥٩.
- (٨٧) ابن الزيات **التشوف**، ١٣٢.
- (٨٨) نورالدين امعيط، **قراءة في كرامات صلحاء تادلا من خلال كتاب التشوف لابن الزيات**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤-١٥، (بني ملال: ٢٠١٣-٢٠١٤)، ٧٥-٧٦.
- (٨٩) قتل الموحدون بهذه القرية عددا كبيرا من أهل تادلا فيما يسمى بالتميز، ويرجح أن يكون هؤلاء من أتباع الولي أبي محمد مع الله. ويقول البيدق في هذا الصدد: " ودفع (عبد المومن) جريدة أخرى لتادلا لعمر بن ميمون وعبد الله بن داوود الجراوي ومحمد بن توافوت وسليمان بن تيز نكاظ وقتلوا منهم خمسمائة في موضع يقال له **نظير** ". أنظر: البيدق الصنهاجي، **أخبار المهدي**، ٧١.
- (٩٠) **تاغزوت**: كلمة أمازيغية تعني الحوض أو المنخفض وأصلها من فعل: **إغز**، وتعني حفر، وتطلق على عدد من الأماكن ومنها قرية بمنطقة

- آخر، إلى أن المقصود هي قصبة بني ملال أو قصبة بلكوش، ويبدو أن كلا الباحثان قد جابا الصواب، خاصة وأن جملة من القرائن التاريخية تدل على أن المقصود بتفزة، هي تاكزيرت الحالية، بينما تظل أفزا هي مركز فشتالة. راجع أوصاف الوزان ومارمول لمدينتي تفزة وأفزا، وقارن ذلك بما ورد عند كل من: محمد البشير بوسلام، **تاريخ قبيلة بني ملال (١٨٥٤-١٩١٦م)**، جوانب من تاريخ دير النطلس المتوسط ومنطقة تادلا، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٩١م)، ٦١. و مصطفى عربوش، **من تاريخ إقليم تادلا وبني ملال**، (البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٨٩)، ١٠٩-١١٠.
- (٤٥) ويسمى هذا اللباس "البرنس" أو **السلهام** بالتعبير المحلي. أنظر: الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ١٧٧.
- (٤٦) الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ١٧٧.
- (٤٧) الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ١٧٧.
- (٤٨) الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ١٧٧.
- (٤٩) **تفزة**: هي قصبة تاكزيرت وليست قصبة بني ملال، كما ذهب إلى ذلك عدد من الباحثين، أنظر:
- Louis Massignon, **Le Maroc dans les premières Années du XVIeme Siècle-Tableau géographique d'après Léon africain**, (Alger, 1906): 206.
- أيضا: مصطفى عربوش، **من تاريخ إقليم تادلا وبني ملال**، ١٠٩-١١٠.
- (٥٠) الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ١٨٣.
- (٥١) مارمول، **إفريقيا**، ج٢، ١١٨.
- (٥٢) يبدو أن مارمول كاربخال، قد بالغ في تقدير عدد سكان مدينة أفزا أو فشتالة، حين جعل عددهم "سبعمائة كانون"، وهو رقم بعيد جدا عن تقدير الوزان الذي قدر عددهم "بمائة كانون" فقط، أنظر: مارمول كاربخال، **إفريقيا**، ج٢، ١١٨. وقارن ذلك بما ورد عند الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ١٨٣.
- (٥٣) مارمول، **إفريقيا**، ج٢، ١٢١.
- (٥٤) مارمول، **إفريقيا**، ج٢، ١١٩.
- (٥٥) من أسماء عمال بني وطاس الذين حكموا المجال التادلي بعضا من حديد، تذكر المصادر القائد **الزرانكي**، أنظر: الوزان، **م س**، ج١، ١٧٧، مارمول، ج٢، ١١٧.
- (٥٦) مارمول، **إفريقيا**، ج٢، ١١٩.
- (٥٧) الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ١٨٨.
- (٥٨) يبدو أن الوزان قد أخطأ حين جعل المسافة بين أفزا ومدينة أيت عتاب عشرة أميال فقط، والصواب أنها تقع على بعد أكثر من ٥٠ كلم من مدينة أفزا في الجنوب الغربي منها، راجع: **وصف إفريقيا**، ج١، ١٨٨، الهامش رقم: ٩٦.
- (٥٩) الوزان، **وصف إفريقيا**، ج٢، ١١٨.
- (٦٠) **الوزان، وصف إفريقيا**، ج١، ١٨٨.
- (٦١) مارمول، **إفريقيا**، ج٢، ١٢٠.
- (٦٢) زار الحسن الوزان هذه المدينة سنة ٩٢١هـ، أنظر: **وصف إفريقيا**، ج١، ١٨٥.
- (٦٣) الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ١٨٥.
- (٦٤) الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ١٨٨.
- (٦٥) الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ١٨٧.
- (٦٦) الوزان، **وصف إفريقيا**، ج١، ١٨٦.

(١٠٨) يبدو أن هذه القبيلة هي إحدى القبائل البربرية الصنهاجية، وهي فرع من فروع صنهاجة الظل، وليس المقصود بها قبيلة بني عمير أو بنو عامر المنحدرين من العرب الهلالية، كما أثبت ذلك الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور محقق كتاب المقتبس من كتاب الأنساب، خاصة وأن البيدق عاصر ابن تومرت وعبد المومن الموحدين ولم يعاصر استقدام العرب الهلالية من إفريقية، حيث تم ذلك زمن الخليفة الموحدي يعقوب المنصور في "أواخر المائة السادسة حينها صارت أرض المغرب منقسمة بين أمتين: أمة العرب، أهل اللسان العربي، وأمة البربر، أهل اللسان البربري، بعد أن كانت بلاده (يعقوب المنصور) خاصة بالبربر لا يشاركون فيها غيرهم". أنظر: الناصري، **الاستقصا**، ج٣، ١٢٣. وقارن ذلك بما جاء عند البيدق، **كتاب المقتبس من كتاب الأنساب**، ٥٦، الهامش رقم: ١٣٣.

(١٠٩) لعل هؤلاء الذين ذكرهم البيدق بأيت يزيد هم أيت بوزيد حاليا، وهي القبائل المطللة على سهل تادلا، ويحدها شرقا قبيلة ايت سخمان وشمالا قبيلة أيت الربع وبني موسى وغربا قبيلة أيت عتاب وأيت مساط وجنوبا ايت بوكنافن وايدنصالن. وتضم قبيلة أيت بوزيد حاليا، عدة بلدات وهي: وواويزغت وتامجيغت وايسكسي وتاكموت وتيلكويت واخشان وادندون واكرويزين وتامغا وايفزسان.

(١١٠) البيدق، **كتاب المقتبس من كتاب الانساب**، ٥٦.

(١١١) البيدق، **كتاب المقتبس من كتاب الانساب**، ٥٦-٥٧.

(١١٢) إن المقصود جهة بني ملال خنيفرة، كما سميت في التقسيم الإداري الجديد لسنة ٢٠١٥م، و الذي جعل منطقة خنيفرة (زايان) وخربيكة، إضافة إلى إقليم الفقيه بن صالح و بني ملال وأزيلال، تابعين لجهة تادلا في إطار الجهوية الموسعة.

(١١٣) ابن خلدون، **المقدمة**، المجلد٢، تصحيح وفهرسة أبو عبد الله السعيد المنذوه، (بيروت، مؤسسة الكتاب الثقافية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، المجلد٢)، ٤٣٢. حافظي علوي، **مواد البناء ببلاد المغرب من خلال كتاب الاعلان بأحكام البنيان لابن الرامي**، ضمن المعمار الميني بالتراب في حوض البحر المتوسط، تنسيق محمد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (الرباط: ١٩٩٩)، ٦٥، هامش رقم: ٦٨.

تادلا بين بني ملال والقصيبة، على بعد سبعة كلمترات من وادي أم الربيع. راجع: **التشوف**، ٢٢٠-٢٢١، الهامش رقم: ٥٠٣. أيضا:

-Emile LAOUST; **Contribution à une étude de la toponymie du haut Atlas** (Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1942), 34.

(٩١) جمع هذا الولي بين الصلاح والعلم، فقد كان فقيها في الفقه المالكي، اية في الفقه عليه المدار فيه بمدينة فاس، وله حواشي على المدونة، راجع ترجمته عند: علي الجزائلي، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، (الرباط: المطبعة الملكية، ١٤١١هـ/١٩٩١م)، ٥٦. أحمد بابا التيبكتي، **نيل البتهاج بتطيرز الديباج**، عناية وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، (طرابلس: منشورات دار الكاتب، 2000م)، ١٦٠.

(٩٢) أحمد التوفيق، **مقدمة تحقيق كتاب التشوف**، ١٩.

(٩٣) يقول ابن الزيات في هذا الصدد: " رأيت أن أفرغ لذلك وقتا أجمع فيه طائفة (من الصالحين) أدون أخبارهم (...). وتحريت في نقل ذلك عن أهل الثقة والأمانة والخبر والصلاح والمستورين ما استطعت". راجع: ابن الزيات، **التشوف**، ٣٣.

(٩٤) عن ظاهرة التمييز الموحدي، وقتل عدد كبير من أهل قرية نظير التادلية، راجع: البيدق، **أخبار المهدي**، ٧١. أيضا: ابن القطان المراكشي، **نظم الجمال**، ٢٤٩-٢٥٠.

(٩٥) ابن سماك العاملي، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، (البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1399هـ/١٩٧٩م)، ١٠٨.

(٩٦) الوزان، **وصف إفريقية**، ج١، ص. ١٢٧.

(٩٧) الحسين بولقطيب، **الدولة الموحدية ومجال المغرب الأقصى**، ج٢، أطروحة دكتوراه الدولة، (الجديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٨-١٩٩٩م)، ٢٢٧.

(٩٨) الجزائلي، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، طبع باعتناء الشيخ الفرد بل (الجزائر: ١٩٦٦)، ٣٢. أيضا: بولقطيب، **الدولة الموحدية**، ج٢، ٢٢٧.

(٩٩) الحسين بولقطيب، **الدولة الموحدية**، ج٢، ٢٢٧.

(١٠٠) ابن سعيد، **بسط الارض**، ٥٨-٥٩.

(١٠١) ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج٦، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٢١هـ/...م)، ٢٧٣-٢٧٤.

(١٠٢) **نفسه**، ج٦، ص. ٢٠٢.

(١٠٣) الوزان، م.س، ج١، ص. ١٦٣.

(١٠٤) صالح بن عبد الحليم، **كتاب الأنساب**، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، رقم: ١٢٧٥ ك، ص. ٢٦.

(١٠٥) أمكن القول أن قبيلة صنهاجة البربرية أخت لهسكورة، و كلاهما من القبائل التي استوطنت منطقة تادلا التاريخية. **نفسه**، ص. ٢٦.

أيضا: عيسى العربي، **أيت عتاب السكان وحياتهم الدينية عبر التاريخ**، (البيضاء، مطبوعات الأفق، ١٩٩٢م)، ص. ١٤.

(١٠٦) صالح بن عبد الحليم، م.س، ص. ٢٦.

(١٠٧) البيدق، **كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧١م)، ٥٤-٥٥.